عندما لا نؤمن الا بالانسان ، ويكون هذا الانسان عبارة عن وجود حضارة يرتضيها فرد خلاق ، يصبح الصمت ، دليلا على ان الوجود الفردي ـ الحضاري مهدد.

وصوت الشاعر هنا صوت رسول حمل الاخلاص والبعث الى حضارته كي ينهض بها ، فيتم وجوده ويحقق ذاته .

الا ان الصمت يرعب والبومة تنعق ، والحوت يفغر فاه .. مما يضطر الشاعر لان يعيد النظر في انتمامه الحضاري ... اذ ان انهيار حضارته في ذاته باعث على انهياره الفردي والفني ..

فكأني به في عرض بحرنا المتوسط ، ينظر الى منارتين شاحبتين ، فيحتار الى ايهما يتجه ، وهو مجبر على الاختيار لئلا يبقى فريسة لحوت التفاهة والعبث والعدمية .

يغوص في ذاته حيث الغموض يلف كل شيء ويستعرض الطرق الممكنة .. فاذا بالبومه ترجع لتصرح في اذنيه بصوت جن ساخر : « امامك حلان ، فاما ان تصبح ناسكا على ضفاف حضارة أخرى ، حيث يغلفك الصمت ، ويمتنع عليك الحلم بموسم الخمر والجمر ، الموسم الذي طالما تجديتني به ..

« او ان تتجه في تيار حضارتك نحو مقاهي الشط والخليج حيث الملل والتمويه . وحيث تصبح واحدا من المسمّمين المسمّمين ، تتقي بجلدك المتمسح سهام التزوير والخداع ، وفي اخر انتفاضة لك على المراوغة ترتحي يداك.

وتستمر البوم في نعيقها ، فتشرح للشاعر ان حله الاول يعني كبت ذاته عن التحقيق ، الامر الذي يدفعه حتما الى الاستعاضة عن رسالته السابقة بخلق عوالم جديدة ، يكون فيها ملكا ورسولا بل الها .. الا ان هذه العوالم تبقى في ضميره وحده ..

اما حله الثاني فيقوده الى مصير حزين ينقلب فيه ساحرا مهرجا بين السحرة والمهرجين من ابناء سدوم .

تسكت البوم لتنصت لثورة الشاعر الممزوجة بنوع من الاسترحام ـ وكان خليلا يشعر بان هذه الجن قد يكون على حق ـ فيلفت نظره الى الصوت الخلاق الذي سيملأ الدنى ، الى الحياة العائدة مع دمه الذي يحيل العفن ثريات من العافية ، الى عروق الرب المنتشية وصوته الجديد .. وتجيء ردة الفعل من قبل الجن ، فيجيب الشاعر بصلابة ووحشية منكرا :

ـ « لست أرى »

وكأن الشمعة حكم عليها بالانطفاء فاذا بها تنتفض . واذا بالمنارة المخلصة تلمع ثانية ، فتنقشع العتمة وتخرس اصداء البوم ، لنرى البحار يضحك من بصارته متجها مرة ثانية الى الشاطيء الوحيد ، في يديه زفت وكبريت يحرق بهما نسل العبيد ، وعلى شفته بشارة ، بعد ان روض العبارة ووعى ذاته واستبشر بحضارة من نسل الالهة ، فاستعاد وجوده ..

اما اذا سألتني عن مدى قوة هذه الضحكة ، واذا ما كانت سوى ضحكة ايحاء وتمن ، فاني أجيبك بان البوم ـ بحكم الاخلاص المرهق ـ ستنعق من جديد .. الاانه يبدو لي ان هذه الضحكة هي الحل الوحيد .

(الجامعة الاميركية)ـ بيروت

اسعد خير الله

الشبح

دمشق في ٩٦١/٧/٥

كرصاصة بلهاء ، كالقدر الضرير
كان القطار وراء سكته يسير
وانا اسير ..
لا درب لي ، لا سقف يفرش ظله حولي ، وكابوس الهجير
رقطاء تبلعني ، تمزقني ، وتنفثني على سام الرصيف
كرماد منفضة الخريف
من أين ..؟ لا ادري ، ولا أين المصير !
طفل بدون اسم ، بلا حس ، بلا وجه يسير
شبح يطوف لاهث الخطوات ، مختنق الضمير
ويهز صوت الريف أعماقي .. فاشعر بالحياه
فجرية الانداء ، خضراء الملامح ، بالنعيم متوجه
من داخلي تنداح كالعطر المحبا في عروق بنفسجه
لكنها سرعان ما تخبو على السطح الموات
كفقاعة صفراء من زبد النوارع في الهجير
وانا كمن في نومه .. يهذي ، يحدق ، او يسير
اتصفح الالاف من هذا الجراد المستطير
لا عين ترمقني بحقد او حنان
لا كف توقظني ، تمد لي التحية ، لا لسان
لا ثغر يبسم من صميم القلب لي
وان ابتسم ...
فلما تصوره بجيبي من نعم !

*

ويصيح بي ، من سجنه الفخري ، تمساح بليد
« ماذا تريد ؟ »
ـ : « انا ؟.. ما انا حتى اريد ؟!
يا سيدي .. لا شيء ، لا ادري افتش عن صديق
حي ، وأين الحي ؟ ابحث عن طريق
عن منفذ لافر من هذا الحريق . »

*

واظل كالشبح المخدر عبر دنيا من قبور
ويظل في رأسي صرير
ذاك القطار وراء سكته يسير
كرصاصة بلهاء ، كالقدر الضرير ..

حمص

علي كنعان